

2025; 21(1); 526 –543

بسم الله الرحمن الرحيم

Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)

مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj

https://doi.org/10.52981/v21i1.3260



ISSN: 5361-1858

إشكالية الشر وإثبات وجود الله: قراءة في ضوء الفكر الاسلامي والمسيحي

The Problem of Evil in Islamic and Christian Thought: A Comparative Study

د. ضياءالحق[1]

[1] قسم أصول الدين/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ الشارقة

البريد الالكتروني : zulhaq@sharjah.ac.ae

للاستشهاد بهذا المقال:

د ضياءالحق ، إشكالية الشر وإثبات وجود الله: قراءة في ضوء الفكر الاسلامي والمسيحي، مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

ISSN: 5361-1858

https://doi.org/10.52981/oiujv21i1.3260

المستخلص:

تعتبر قضية الشر كإحدى أهم القضايا العقلية التي اهتم بها الفلاسفة والمتكلمون في العالم الإسلامي والمسيحي على نطاق واسع. وقد اتخذ البعض من وجود الشر ذريعة في نقد التصورات الدينية حول وجود إله كلي الخير والإرادة والقدرة. هذه الدراسة تتناول قضية الشر وتوجيهه من خلال الفكر الاسلامي والمسيحي وذلك من خلال المنهج الوصفي والتحليلي حيث قمت بدراسة الأدبيات المتصلة بموضوع الشر وتحليلها ومقارنتها عبر منهج علمي دقيق. وقد خلصت الدراسة إلى بعض النتائج ومن أهمها أن الذي استدل بالشر في نفي وجود الله غير قادر لتقديم تفسير شامل للمسألة حيث يركز على الشر بوصفه إشكالية لكنه لا يقدم أي تفسير للخير غير المبرر الذي يوجد في الكون بدون أي ضرورة مادية محضة وأن الشر هو جزء من نظام كوني متكامل يشمل الابتلاء ولا يمكن للعقل الإنساني المحدود أن يدرك الحكمة الإلهية المطلقة وراءه كما أثبتت الدراسة نسبية الشر حيث أن الشر ليس كيانا مستقلا قائما بذاته بل انعدام الخير ونتيجة لسوء استخدام الإرادة الحرة من قبل الإنسان. وانتهت الدراسة بالاستدلال على وجود الله رغم وجود الشر في العالم حيث أن وجود نظام كوني مبني على مبدأ العدل والمسؤولية الأخلاقية يقتضي وجود خالق عادل حيث لا يمكن تفسير القيم الأخلاقية الا بوجود مصدر أعلى يضع تلك المعايير الأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: الشر، وجود الله، الغزالي، اللاهوت المسيحي، الحكمة الإلهية، القرآن.

Abstract :
The problem of evil is one of the most serious charges against theism that has necessitated many responses from the Christians and Muslim theologians. Atheists often criticize the theistic conception of an omnibenevolent, omnipotent, and omniscient God based on the existence of evil in the world. Using a descriptive comparative approach, this study analyzes the literature related to the problem of evil within Islamic and Christian thought. It is concluded that those who use the problem of evil as proof against theism have not come up with a good interpretation of the issue, as they used the gratuitous evil as proof against the existence of God, but they provided no explanation for the existence of gratuitous goodness in the universe that cannot be illustrated through material necessity. It is further noted that the evil is not a self-subsisting entity; rather, it is the absence of good and the result of the misuse of free will that shows the relativity of evil. Finally, the study affirms the plausibility of the theistic notion of God despite the presence of evil in the world, as the existence of a cosmic order and moral responsibility necessitates the existence of a superior creator.
Keywords: Evil, Existence of God, Al-Ghazali, Christian Theology, Divine Wisdom, Qur'an.

مقدمة :

تعتبر قضية الشر من إحدى الإشكاليات العقلية في القضايا المتعلقة بوجود إله حيث استخدمها الإلحاد كحجة في نفي وجود الله. يحتج أصحاب هذه الفكرة أن الشر غير المبرر الموجود في الكون يدل على غياب نظام أخلاقي مطلق. ولكن في المقابل أصحاب هذه الفكرة لا يستطيعون تقديم أي تفسير للخير غير المبرر الذي يوجد خارج منطق الضرورة المادية المحضة.

أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من تناولها إشكالية الشر والخير غير المبررين من منظور شامل يجمع بين الفكر الإسلامي والمسيحي، مع تحليل نقدي للحجج الإلحادية المعاصرة. وتتلخص أهميتها في النقاط التالية:

تبرز أهمية الدراسة بشموليتها حيث قمنا بالمقاربة الثنائية بين الفكر الإسلامي والمسيحي بخلاف العديد من الدراسات التي تركز على جانب واحد فقط.

تشمل الدراسة على وجود الخير غير المبرر بوصفه تحديا موازيا للفكر المادي عكس الدراسات التي تركز على وجود الشر غير المبرر فقط.

الدراسة لا تقتصر على الطرح الديني للنصوص فقط بل تعالج القضية من منظور منطقي وفلسفي من خلال التعرض للقضايا مثل الإرادة الحرة والحكمة الإلهية والتكامل الكوني وغيرها من القضايا ذات الصلة بالموضوع.

تمتاز دراستنا بالبعد الجدلي القوي حيث لا تهدف إلى الدفاع عن التصور الديني لقضية الشر بل تتعرض لتحليل ونقد الحجج الإلحادية مما يعزز موضوعيتها ومصداقيتها الأكاديمية.

تقديم رؤية جديدة حول العلاقة بين الحرية الأخلاقية والعدالة الإلهية

حيث أن مفهوم الإرادة الحرة لا يفسر فقط وجود الشر، بل يعزز أيضًا وجود نظام أخلاقي متكامل لا يمكن تفسيره ماديًا، مما يساهم في إثبات وجود الله من منظور أخلاقي.

أهداف البحث

تتناول هذه الدراسة قضية الشر في ضوء الفكرين الإسلامي والمسيحي وأهم أهدافها تتلخص فيما يلي:

تحليل مفهوم الشر والخير من منظور فلسفي وديني.

تقييم حجج الفكر الإلحادي في نفي وجود الله وتقديم نقد موضوعي لها.

مقارنة وتحليل الموقفين الإسلامي والمسيحي في تفسير الخير والشر.

بيان أن وجود الشر لا يؤدي إلى نفي وجود إله بل على العكس يقتضي وجود إله قادر يضبط التوازن الأخلاقي والكوني.

مشكلة البحث:

إن مشكلة البحث تدور حول علاقة الشر بوجود الله حيث يستند الفكر الإلحادي إلى وجود الشر كدليل على نفي وجود الله، كلي الخير والقدرة والإرادة. يهدف البحث إلى توجيه هذه المشكلة وإثبات أن وجود الشر لا يتعارض مع الإيمان بالله بل وجوده ضروري من ناحية العقل لتحقيق التوازن الأخلاقي والكوني. في هذا السياق فإني حاولت الإجابة على الأسئلة التالية:

ما المفاهيم الفلسفية والدينية للخير والشر، وكيف تم تفسيرهما في الفكر الإسلامي والمسيحي؟

ما أبرز الحجج التي يستند إليها الفكر الإلحادي في استخدام مشكلة الشر لنفي وجود الله؟

ما هي الشبهات التي وقع فيها الفكر الإلحادي في فهم مشكلة الشر؟

كيف يوجه كلٌّ من الفكرين الإسلامي والمسيحي مسألة الخير والشر؟

الدراسات السابقة

تُعَدُّ مسألة "الشر" من أبرز الإشكاليات الفلسفية التي تناولها الباحثون في الشرق والغرب بالدراسة والتحليل وسعوا إلى تقديم توجيهات وتفسيرات لهذه المعضلة.

وبما أن قضية الشر تعتبر من أهم الإشكاليات العقلية في النقاشات الفلسفية فقد تناولها العلماء بالعناية من جميع الأطياف وخاصة في العالم الإسلامي والمسيحي وقد حاول العلماء إلى تقديم تفسيرات مختلفة لهذه القضية وفيما يلي نعرض بعض الجهود التي بذلت في هذا الإطار.

إن أول ما لفت نظري في هذا الموضوع هو كتاب "الشفاء" لإبن سينا حيث ناقش مشكلة الشر بالتفصيل. وقد اعتبر ابن سينا الشرور كلها نسبية وليس مطلقة وأن وجودها ضروري لأنها تخدم غايات ومقاصد معينة في خلق التوازن في النظام الكوني الأوسع.

ومن العلماء المسلمين الذين تطرقوا لهذه القضية الإمام الغزالي (1058–1111م) حيث ناقشها في كتابه المعروف "إحياء علوم الدين". وقد أكد الغزالي على أن كل ما يحدث في الكون من الخير والشر إنما هو بارادة الله وحكمته وأن وجود الشر لا ينفي وجود إله كلي الخير لأنه قد يكون ضروريا لاختبار الانسان وتهذيبه.

وقد تناول هذه القضية ابن رشد (1126–1198م) في " تهافت التهافت" وذهب إلى القول بأن وجود الشرور في العالم لا يتعارض مع حكمة الله سبحانه وتعالى وأن بعض الشرور قد تكون ضررويةً لتحقيق غايات محددة.

ومن العلماء المعاصرين الذين تناولوا قضية الشر عبد الجبار الرفاعي حيث يناقشها في كتابه "الشر والمعاناة الإنسانية في الفكر الإسلامي: نحو نظرية عرفانية للعدالة الإلهية". وقد سعى الرفاعي إلى تطوير نظرية عرفانية لتفسير الشر تعنى بالعدالة الإلهية حيث يرى الشر والمعاناة مشكلة بل يراها جزءا من التجربة الإنسانية التي تهدف إلى تهذيب النفس واختبار الإيمان.

ويرى محمد الشناوي في دراسته "لماذا يعاني البشر؟ وجود الله ومشكلة الشر" أن وجود الشر لا يصلح دليلا منطقيا ضد وجود الله كما يحاول الشناوي تقديم رؤية اسلامية شاملة للقدرة الإلهية في منهج عقلي متكامل لفهم المعاناة والشرور كجزء من الابتلاءات التي تهدف إلى تعزيز النمو الروحي للإنسان.

ومن الأدبيات المسيحية التي اهتمت بمعضلة الشر ما كتبه القديس أوغسطينوس (354–430م) حيث قدم في كتاباته تفسيرا للشر وذهب إلى الشر ليس شيء حقيقي وهو ليس كيان مستقل بذاته بل هو غياب للخير. وقد ركز أوغسطينوس على مفهوم الإرادة الحرة لدى الإنسان حيث أن الشر هو نتاج سوء استخدامها من قبل الإنسان وليس نتيجة فعل إلهي مباشر.

ويرى توما الأكويني (1225–1274م) الشر جزءا من الخطة الإلهية الشاملة لتدبير الكون. ومن كتبه التي عالج فيها توما الشر"الخلاصة اللاهوتية" حيث يعرض الشر من منظور فلسفي وديني ويدور الكتاب حول فكرة عدم إمكانية تعارض الشر مع وجود إله كلي القدرة والخير والإرادة.

ومن الدراسات التي لها علاقة مباشرة مع دراستنا هذه ما كتبه محمد بوهلال تحت عنوان "معضلة الشرّ في اللاهوت والفلسفة الوسيطَيْنِ" حيث استعرض فيه مشكلة الشر من خلال مواقف لاهوتيين والفلاسفة المسلمين في العصور الوسطى. وركزت الدراسة على أراء علماء معروفين مثل ابن سينا وعبد الجبار المعتزلي وأبي الحسن الأشعري والقديس أوغسطين وتوما الأكويني وغيرهم. والدراسة هي محاولة جادة لتقديم فهم أعمق لكيفية تعامل الفكر الاسلامي والمسيحي مع مشكلة الشر.

تتميز دراستنا عن دراسة محمد بوهلال في عدة جوانب تجعلها أكثر شمولية وتحليلًا معمقًا لمسألة الشر والخير غير المبررين. ففي حين ركزت دراسته على مواقف اللاهوتيين والفلاسفة المسلمين في العصور الوسطى، تتوسع دراستنا في تحليل كلٍّ من الشر والخير غير المبررين، مما يجعلها أكثر توازنًا في نقد الفكر الإلحادي. كما تدمج بين التحليل الفلسفي التقليدي والرؤى العلمية الحديثة، مما يعزز قدرتها على مواجهة الحجج الإلحادية المعاصرة.

وتتميز دراستي عن دراسة بو هلال من جوانب مختلفة. ومن جملتها شموليتها حيث تناقش كلا من الشر والخير غير المبررين كما أنها تقدم نقدا لأدلة الفلاسفة مثل ويليام رو وجي ماكي وهيوم كما أنها تسلط الضوء على وجود الخير غير المبرر بوصفه تحديا

موازيا للإلحاد. وهذا يؤيد ما قلناه أن وجود الخير والشر المبررين لا ينفي وجود الله سبحانه وتعالى بل يبرر الحاجة إلى وجوده وضرورته عقليا.

منهج البحث

تجمع هذه الدراسة بين المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن الذي نقوم من خلاله باستقراء وتحليل المفاهيم الأساسية بالشر والخير ونقد الطروحات الإلحادية التي ترى أن الشر ينفي وجود الله ومقارنة معالجة الفكريين الإسلامي والمسيحي وعرض أوجه التشابه بين الفلسفتين في تفسير مشكلة الشر.

خطة البحث

قسمنا هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على التفصيل الآتي:

أما المقدمة فقد اشتمل على أهمية البحث وأهدافه ومنهجه ومشكلته والدراسات السابقة في الموضوع.

وأما التمهيد فقد اشتمل على أربع مطالب على النحو الآتي:

أولًا: الخير والشر في الفكر الاسلامي

ثانيا: الخير والشر في الفكر المسيحي

ثالثا: مقارنة بين المنظورين

رابعا: استدلال الملحدين من الشر

وأما المبحث الأول فقد جاء تحت عنوان" القراءة الإسلامية لمشكلة الشر" واشتمل على أربع مطالب:

المطلب الأول: الشر ومفهوم الحكمة الإلهية:

المطلب الثاني: الشر و التكامل الكوني

المطلب الثالث: نسبية الشر

المطلب الرابع: الاختيار ووجود الشر

وأما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان " القراءة المسيحية لمشكلة الشر" واشتمل على ثلاثة مطالب على التفصيل الآتي:

المطلب الأول: الشر ونظرية الإرادة الحرة

المطلب الثاني: الشر وعقيد خطة الفداء

المطلب الثالث: الشر و الحكمة الإلهية غير المُدركة

وفي الخاتمة فقد ذكرت أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال الدراسة.

التمهيد:

أولًا: الخير والشر في الفكر الإسلامي

يقصد بمصطلح "الخير غير المبرر" أو "الخير المجاني" هو ذلك الخير الذي يوجد ولكن بدون سبب مادي واضح. وهذا النوع من الخير كثير في الكون مثل انسجام القوانين الطبيعية وانتظام الظواهر الكونية والتوازن البيئي ووجود الجمال في الكون. واذا تبين هذا فإنه يمكن القول أن "الشر غير المبرر" أو "الشر المجاني" هو ذلك الشر الذي يوجد ولكن ليس له تفسير أو تبرير مباشر من حيث العلل الغائية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات ومعاناة الإنسان والحيوان وغيرها من أنواع الكوارث التي تبدو غير مبررة.

ومما لا شك فيه أن تعريف الخير أو الشر غير المبررين لا يمكن استيعابه الا بالاطلاع على ماهية وحقيقة الخير والشر. وقد ذهب ابن سينا في كتاب الشفاء إلى اعتبار الخير بوصفه الوجود ذاته، بينما عرف الشر على أنه انعدام كمال في الخير. (ابن سينا، **2002**، ص **312**). والذي يفهم من كلام ابن سينا أن الخير أصل وأن الشر هو حالة استثنائية. وهذا يدل على أن النظام الكوني قائم على الخير بصفة أساسية وأن الشر شيء عارض ونسبي. وقد تناول الإمام الغزالي هذا الموضوع في كتابه تهافت الفلاسفة ونحا فيه نحو ابن سينا حيث بين أن الكون خاضع للنواميس والقوانين التي تعكس الخير وأن الشر ليس له وجود كجوهر مستقل بل هو عارض للخير ونقيض له ونقص فيه. (الغزالي، **1966**، ص **121**).

ويرى الفارابي في كتابه "آراء المدينة الفاضلة" أنه يفهم من خلال الانسجام الموجود في القوانين الكونية أن العالم قد أسس على مبدأ الخير كنظام عام وأن الشر ليس الا خللا طارئا فيه أو نقصا عارضا وليس مستقلا وجوهرا بذاته. (الفارابي، **1995**، ص **92**).

وقد تناول القرآن الكريم قضية الخير والشر في آيات عديدة ذكر فيها الخير كحقيقة متأصلة في الوجود وأما الشر فهو شيء طارئ وعارض وفيه يقول الله سبحانه وتعالى:

"وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون" (النحل: **53**)، حيث تشير الآية بوضوح إلى أن الخير هو الحالة الطبيعية، بينما الشر هو الاستثناء.

وانطلاقا من هنا فقد ذهب الفلاسفة المسلمون إلى أن الشر هو نقص في الخير وليس جوهرًا مستقلاً كما يقول ابن سينا في كتاب النجاة: "الشر يقال على وجوه... ويقال شر لنقصان كل شيء عن كمال وفقدانه ما من شأنه أن يكون له ". ويؤيد هذا ما قاله الفارابي في كتابه "آراء المدينة الفاضلة" حيث أكد على أن وجود الشر إنما هو نتيجة لقصور في تحقق الصورة الأصلية للموجودات غير أن الخير هو مبدأ أساسي في الوجود.

وذهب الغزالي في تهافت الفلاسفة إلى أن وجود الشر لا بد منه لتمييز الخير ولا يمكن الاطلاع على الخير المطلق الا من خلال ضده وهو الشر. والخير المطلق هو ذات الله سبحانه وتعالى حتى الملائكة لا يمكن توصيفهم بذلك: ويقول في ذلك: " "فإن وجود الملائكة التي هي أجسام لطيفة وجود ممكن في ذاته واجب الوجود بغيره، وإمكان العدم نوع شر ونقص، فليس شيء بريئًا عن كل شر مطلقًا سوى الأول فهو الخير المحض وله البهاء والجمال الأكمل ." ومن نفس المنطلق يرى ابن رشد في "تهافت التهافت" أن وجود الشر مهم لتحقق الخير حيث يقول: "إن وجود بعض الشرور في العالم هو أمر لا بد منه لتحقيق الخير الأعظم، فالكثير من الأمور التي نعتبرها شرورًا تؤدي في النهاية إلى نتائج خيّرة ."

ثانيا: الخير والشر في الفكر المسيحي

ذهب الفلاسفة الغربيون إلى ما يشبه ما قاله ابن سينا والغزالي حيث اعتبروا الخير غير المبرر ذالك الخير الذي ليس له تفسير ظاهري ولا يمكن فهمه في ضوء ضرورات طبيعية. وهذا يشمل عندهم القدرات الأخلاقية التي تتجاوز البقاء البيالوجي للكائنات مثل الحب غير المشروط والتضحية. وهذا النوع من الخير يشكل مشكلة للإلحاد حيث لا يمكن تفسيره في ضوء نظرية الصدفة لخلق الكون والتي يؤسس عليها الإلحاد. ومن هذا المنطق يقول ريتشارد سوينبرن :

" Every moral evil in the world is such that God allowing it to occur makes possible... the great good of a particular choice between good and bad... Every pain makes possible a courageous response"

"قد يسمح الله بشر أخلاقي في العالم حتى يجعل الخير الأعظم ممكنا ويتيح للانسان حرية حقيقية لاختيار الخير أو الشر. وكل ألم يوفر فرصة ليتم مواجهته بشجاعة وفي أكثر الأوقات هذا يؤدي إلى الخير الذي يتمثل في التعاطف والعمل الإنساني الرحيم.". (سوينبرن، 1998، ص 33).

وذهب ألفريد نورث وايتهد (Whitehead, 1929) في نظريته عن "العملية والواقع" أن الخير والشر قد يكونا نسبيين معا لأن الخير مثل الشر تماما وهو جزء من عملية تطورية تحكمها غايات تتجاوز المادة حيث يقول:

" The true method of discovery is like the flight of an aeroplane. It starts from the ground of particular observation; it makes a flight in the thin air of imaginative generalization; and it again lands for renewed observation rendered acute by rational interpretation."

"إن الطريقة الحقيقية للاكتشاف تشبه تحليق الطائرة. فهي تبدأ من أرض الملاحظة الخاصة، ثم تحلق في الهواء الرقيق للتعميم الخيالي، ثم تهبط مرة أخرى لإجراء ملاحظة متجددة تُشحذ بفعل التفسير العقلاني،(وايتهد، 1929، ص 45). ."

هذا يشير إلى أن الخير مثل الشروهو ليس حالة ثابتة أو مادية بل هو عملية تطورية وليس معطى مسبقا أو قائما بذاته بل هو نتاج للتطورات المستمرة التي تتطلب التفكير ثم إعادة النظر في الواقع".

وقد خالفه توما الأكويني حيث يرى أن كل ما هو موجود فهو خير بقدر ما هو موجود، وأن النظام الطبيعي يحمل الخير كصفة متأصلة في الوجود غير أن "العقل البشري لا يمكنه إدراك الحقيقة إلا من خلال التفكير" حيث يقول نقلا عن أوغسطينوس:

" The human mind may perceive truth only through thinking, as is clear from Augustine."

ومعناه "لا يمكن للعقل البشري أن يدرك الحقيقة إلا من خلال التفكير، كما هو واضح من أقوال أوغسطينوس. (الأكويني، 1947، ص 87). ."

يرى الأكويني أن العالم يحمل الخير بشكل متأصل، لأن الوجود ذاته خير. ولكي يدرك الإنسان هذا الخير والحقيقة المرتبطة به، يجب عليه استخدام العقل والتفكير الفلسفي، وليس الاعتماد على الإدراك الحسي فقط.

ويتضح هنا أن الخير عند الأكويني شيء حقيقي ومتأصل في الوجود والوجود ذاته هو الخير ولكن إدراكه لا يمكن عن الطريق الحسي فقط بل يجب في ذلك استخدام العقل والتفكير الفلسفي. وقد تناول أوغسطينوس في اللاهوت المسيحي قضية الشر بشرح مماثل حيث أكد ٔلى أن الشر ليس شيئا منعزلا بل هو نقصان الخير أو فساده كما يرى لويس أن الشر قد يؤدى إلى نمو القيم الأخلاقية العليا مثل الرحمة والصبر والتضحية مما يدل على حكمة الله سبحانه وتعالى في تنظيم شؤون الكون.

ثالثا: مقارنة بين المنظورين ـ الإسلامي والمسيحي ـ

تبين مما سبق أن الفكرين الإسلامي والمسيحي يتفقان على أن الخير هو الأصل والشر هو حالة استثنائية أو نقص في الخير، وليس جوهرًا مستقلاً كما يتبين أن الاتجاهين يجتمعان فيما يتعلق بالدور الغائي للشر حيث أنه قد يكون وسيلة لتحقيق الفضائل الأخلاقية، لأن الشر لا يُراد لذاته بل هو نتيجة لقصور في تحقق الخير وقد تناول الفلاسفة المسلمون مثل ابن سينا والفارابي والغزالي الشر على أنه نقص في الخير وليس كيانًا قائمًا بذاته، وهو ما يتفق مع توما الأكويني وأوغسطينوس في اللاهوت المسيحي.

إن الخير في الكون يدل على وجود إله كلي الخير والإرادة والقدرة عند كلا المدرستين غير أنهما تختلفان في في تفسير الشر حيث يرى الفكر اللاهوت المسيحي أن الشر وسيلة لتحقيق القيم الأخلاقية. أما الفكر الإسلامي نتيجة مباشرة لانعدام الخير وفساده.

رابعا: نظرة الملحدين للشر

استدل الملحدون بوجود الشر غير المبرر في الكون على نفي وجود إله كلي الخير والقدرة والإراداة. لأن الله إذا كان خيرا وعنده القدرة المطلقة على كل شيء، كيف يسمح بوجود شر غير مبرر؟ واستخلصوا من ذلك أنه ليس هناك إله بالصفات التي ذكرها أهل الأديان. ومن أشهر الفلاسفة الذين دافعوا عن هذه الرؤية ديفيد هيوم حيث استبعد وجود إله كلي الخير والقدرة والإرادة مع وجود الشر في الكون حيث يقول: "إذا كان الله يريد منع الشر لكنه لا يستطيع، فهو ليس كلي القدرة. وإذا كان يستطيع لكنه لا يريد، فهو ليس كلي الخير. وإذا كان يستطيع ويريد، فلماذا يوجد الشر؟" (هيوم، 1779).

ومشكلة الشر في أغلب الأحيان تطرح بصغيتين: هما المشكلة المنطقية والمشكلة الاستدلالية أو التجريبية للشر ويختلف كلاهما في الاستدلال والهدف حيث يؤدي الأول إلى إنكار وجود إله كلي الخير مطلقا وأما الثاني فيؤدى إلى استحالة وجود إله كلي الخير.

وقد استدل جي. إل. ماكي بالمشكلة المنطقية للشر حيث اعتبر أن الجمع بين إله كلي الخير ووجود الشر غير ممكن منطقيًا، إذ أن الإله الخير والقادر لا يمكن أن يسمح بوجود الشر.

وقد صاغ ماكي حجة التناقض الداخلي في قضية الإيمان بالله، حيث قال: "الاعتقاد بأن هناك إلهًا كلي القدرة وكلي الخير، يتناقض مع الواقع الذي نشهده من معاناة غير مبررة." (ماكي، 1955، ص 200) .

المشكلة الاستدلالية للشر لا تدّعي وجود تناقض منطقي، لكنها تستند إلى الأدلة التجريبية لتأكيد أن وجود الشر بكثرة، وخاصة الشر غير المبرر، يجعل الاعتقاد بإله كليّ الخير والقدرة أقل احتمالية. تبنى هذا الطرح أناس مثل ويليام رو حيث يرى أن المعاناة التي لا يبدو أنها تحقق "خيرًا أعظم" تضعف منطق الإيمان بإله خيّر.

وذهب الآخرون إلى طرح المشكلة الاستدلالية للشر حيث ادعوا بأن هناك أدلة تجريبية التي تثبت أن وجود الشر بكثرة خاصة غير المبرر منها يجعل وجود إله كلي الخير أقل احتمالية. ومن رواد هذه المجموعة ويليام رو حيث يقول: "يمكننا أن نتخيل عالماً بدون هذه المعاناة، وبالتالي، فإن وجودها لا يمكن تبريره أخلاقياً من قبل إله خيّر" (رو، 1979، ص 337).

حاول العلماء إزالة هذه الشبهة بإقامة أدلة عقلية كثيرة أظهرت هشاشة استدلال الملحدين بالشر غير المبرر في نفي وجود الله والصحيح هو العكس لأن وجود الشر والخير غير المبررين لا يمكن تفسيرهما عقليا الا من خلال وجود إله كلي القدرة والحكمة والخير.

المبحث الأول: التوجيه الإسلامي لمشلكة الشر غير المبرر

وقد فسر العلماء المسلمون مفهوم الشر ضمن الحكمة الإلهية ومن منظور التكامل الكوني وحرية الاختيار حيث أن وجود الشر ما هو الا جزء من نظام الكون الذي يتضمن الابتلاء والاختبار وأن ما يعتبر شرا قد يكون جزءًا من نظام كوني أعظم، حيث لا يمكن تقييم حدث معين بمعزل عن سياقه الشامل. ويمكن لنا تلخيص ما ذهب إليه الفلاسفة المسلمون في الرد على هذه الشبهة في السطور التالية:

المطلب الأول: الشر ومفهوم الحكمة الإلهية:

ذهب العلماء المسلمون إلى تفسير الشر على أنه جزء من نظام الكون وهو ليس بدليل على عدم وجود إله كلي الخير والقدرة والإرادة. ونظام الكون الذي يعمل وفق إرادة الله سبحانه وتعالى لا بد أن يتضمن الابتلاء والاختبار لأن الحياة الدنيا هي اختبار كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: 35). وعلى هذا فإن وجود الشر ليس الا وسيلة لاختبار الانسان ودفعه نحو الخير وهذا لا يتنافى مع عدل الله سبحانه وتعالى.

وناقش الغزالي (ت. 505 هـ) الحكمة من وجود الشر في كتابه "إحياء علوم الدين" واستخلص بأنه جزء من التدبير الإلهي لاختبار الانسان وتمحيصه كما أنه رد على شبهة الإلحاد المرتبطة بها. يقول الغزالي:

"فإن الدنيا دار بلاء، وكل بلاء في الدنيا فهو نعمة في حق المؤمن، إذ به ينال الدرجات العلى في الجنة." ويضيف موضحًا أن المصائب والابتلاءات تُظهر صبر المؤمنين وتزيد من ثوابهم:

كما اعتبر المصائب والآلام من جملة الأسباب التي تزيد من صبر المؤمنين في مواجهة المشاكل وتزيد من درجاتهم الروحية وتكفر خطاياهم حيث قال:

"فإنه لا يصيب المؤمن من نصب ولا وصب، حتى الشوكة يشاكها، إلا كُفّر بها من خطاياه."

وبهذا فسر الإمام الغزالي وجود الشر والمحن غير المبررة ضمن وجود الحكمة الإلهية من ورائها كما اعتبرها وسيلة لتمحيص الله المؤمنين من الكافرين ورفع درجات الصابرين.

وفي نفس الإطار تناول الرازي في تفسيره " مفاتيح الغيب" مسألة الشر غير المبرر واعتبره اختبارا لصبر المؤمن وإيمانه كما رأى أن الشرور قد تكون لها آثار إيجابية في حياة المبتلى بها مثل التقرب إلى الله وزيادة الإيمان وفرص التوبة. ويقول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: 35)، أن الله سبحانه وتعالى أحيانا يمتحن عباده بالخير وقد يمتحنهم بالشرحتى يظهر مدى صبرهم وشكرهم في الأوقات الأحوال المختلفة.

وخلص الرازي في مسألة الشر بقوله: "واعلم أن البلاء قد يكون في الظاهر شرًا، ولكنه في الحقيقة خير، لأنه يُمحص المؤمنين ويُميزهم عن المنافقين، ويُكفر عنهم سيئاتهم، ويرفع درجاتهم".

وما قاله الرازي يدل بوضوح على أن وجود الشر غير المبرر لا يؤدي إلى نفي إله كلي الخير بل يؤكد على ضرورة وجوده في إبداع الكون متوازن الشؤون يقوم على مبدأ الاختبار. والقرآن الكريم يعرض الخير والشر كلاهما ضمن الفتنة في قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: 35). وهذا يدل على أن الخير ليس دائما حسن المآل كما أن الشر ليس دائما شر المآل وليس مجرد عنصر فوضوي وعبثي بل هو ذريعة لاختبار المؤمن وإبراز إرادته الحرة في مواجهة الشرور والمحن.

ومآل ما ذهب إليه الرازي في هذه القضية هو أن الشر وإن كان يبدو قبيحا في الظاهر غير أنه وسيلة لتحقيق غايات جميلة في حياة المؤمن في أحيان كثيرة وأن ما نعتبره بلية قد تحمل في طياتها خيرا كثيرا وحكمة إلهية.

والعقل السليم يؤكد هذا حيث أن الاختبار يقتضي وجود ممتحن حكيم يضع للطلاب بيئة اختبارية نزيهة وكذا وجود الشر كاختبار يقتضي أن تكون هذه البيئة الاختبارية متواجدة للمكلفين تمكنهم من تحقيق غاياتهم الأخلاقية والروحية بتجاوز الابتلاءات والمحن بممارسة الفضائل مثل الصبر والتضحية والعدل وغيرها. وهذا ينسجم مع نظرية التكوين الأخلاقي للانسان (**Soul-Making Theodicy**) والتي تتطلب وجود بيئة غير مثالية بغية التحقيق النمو الروحي والأخلاقي لدى المؤمنين.

وفي ضوء ما سبق يمكن تفسير الشر غير المبرر على أنه ليس شر مطلق بل هو نسبي وله غاية وهذه الغاية كونه وسيلة لتوجيه الإنسان نحو الخير فالمحن قد تدفع الإنسان إلى الرجوع إلى الله وهي وإن كانت في ظاهرها شر غير أن لها وظيفة وهي تطهير النفوس وردعها من ارتكاب الجرائم والمخالفات. وعلى هذا الأساس لا يمكن تفسير الشر بعيدا عن العدل الإلهي بل الشر بهذا المفهوم يتكامل مع مفهوم الرحمة والعدالة الإلهية التي تريد تحقيق الخير الأسمى للإنسان في الدارين.

ومن الناحية العقلية يمكن القول بأن نظام الكون هو ليس نظام عشوائي بل هو نظام هادف ومخطط مسبقا يخضع لتدبير إله كلي الخير. فوجود قوانين الخير والشر وعلاقتها بالمسؤولية الأخلاقية يقتضي وجود هذا الإله الذي وضع هذه القوانين لتحقيق التوازن بين الاختبار والجزاء وهذا الإله هو الله سبحانه وتعالى الذي هو الحاكم المطلق لهذا النظام.

المطلب الثاني: الشر و التكامل الكوني

يرى العلماء المسلمون أن ما يعتبر شرا غير مبرر هو في الحقيقة جزء من نظام كوني أعظم حيث لا يمكن تفسير شر معين بعيدا عن سياقه الصحيح ومثال ذلك هو المرض الذي قد يكون أداة للإنذار للمريض ليقوم بمعالجته قبل فوات الأوان والشر من هذا النوع ضروري لاستمرارية الصحة للإنسان.

ومن هذا المنطلق يقول ابن القيم الجوزية (ت. 1350م) في "شفاء العليل" أن ما نتعامل به كشر قد يحمل في طياته حكما وفوائد خفية. وننقل هنا كلامه بلفظه: "فالآلام والأمراض والمصائب سياط تأديب، وعقوبات تعزير، ورحمة وتطهير، وسبب لذكر الله والإنابة إليه، وكسر قلوب عباده له، وإخلاصهم له في السراء والضراء".

وقد تناول الرازي (ت. 606 ھ) مسألة الشر من منظور التكامل الكوني في تفسيره الكبير حيث ذهب إلى ما نعتبره شرا فإن له دور في تحقيق التوازن الكوني حيث يقول: "واعلم أن البلاء قد يكون في الظاهر شرًا، ولكنه في الحقيقة خير، لأنه يُمحص المؤمنين ويُميزهم عن المنافقين، ويُكفر عنهم سيئاتهم، ويرفع درجاتهم."

وخلاصة ما قاله الرازي أن وجود الشر غير المبرر ليس معناه أنه العالم يسير بنظام عشوائي بدون إله مدبر بل هو دليل على وجود الحكمة الإلهية وذريعة لاكتشاف مستوى الإيمان ورفع الدرجات كما أنه يساهم في تحقيق التكامل الكوني من خلال مبدأ الخير والشر.

يتبين من خلال ما قاله الرازي أن ما يبدو شرا عند بادئ النظر إليه بمعزل عن أثره قد يكون عنصرا مهما في المنظوم الكوني المتكامل، لأنه ضروري للوصول إلى غايات حسنى خفية عن إدراك الإنسان العادي. وقد أكد العلماء أن نظام الكون هو ليس نظام عشوائي وإنما نظام منضبط ومسير وفق قوانين رياضية دقيقة تتطلب وجود إله كلي الخير الذي وضع هذه النواميس وأعطى لكل عنصر دوره في تحقيق التوازن في هذا الكون المدهش.

ومن طبيعة الإنسان أنه لا ينظر إلى النتائج الغائية لبعض الأمور وهو ينظر إلى المرض على أساس أنه شر غير مبرر غير أن التأمل العميق يبرر وجود الداء في الجسد لأنه آلة تحذيرية تحافظ على بقاء الإنسان وتضمن استجابته للمخاطر. والنظام الكوني باشتماله على حالات الخير والشر يبشر إلى وجود تخطيط دقيق في الكون وهو ما يتتطابق مع نظرية التصميم الذكي (Intelligent Design) حيث لا يمكن تفسير وجود الشر على أنه نتيجة للصدفة.

وقد اعترف معظم الملاحدة على وجود قوانين تحكم الكون بدقة متناهية. وبالتالي فإن هذا الاعتراف بوجود نظام كوني دقيق ومنسجم لا يمكن تفسيره نفي الإله بل يقود هذا الاعتراف منطقيا إلى الاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى الذي وضع هذا النظام الذي يحقق التكامل بين الخير والشر في سياق شامل.

المطلب الثالث: نسبية الشر غير المبرر

ذهب المتكلمون إلى أن الشر ليس مطلقا بل هو شيء نسبي وفي كثير من الأحوال فإن الشيء قد يبدو شرا في دائرة محددة قد يكون خيرا في دائرة أوسع. لأن التجارب الإنسانية تشهد على أن كثيرا من الأمور غير المرغوبة في حياة الإنسان تؤدي إلى نتائج إيجابية. وهذا يدل على أن الشر ليس شيء مطلق بل هو أمر نسبي، ينبغي تفسيره في منظور أوسع.

ودرس العلماء مشكلة الشر من منظور نسبي قديما وحديثا. وقد ذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت. 415 هـ) في كتابه "المغني" مفهوم الشر على أساس نسبيته حيث وضح أن الشرور قد تؤدي إلى فوائد خفية حيث يقول:

"إن الآلام قد تكون للمكلف وقد تكون لغير المكلف، فالآلام التي للمكلف تَحسن بأن يكون لها عِوَض (ثواب)، وأن تكون للاعتبار (أي أخذ العبرة)، سواء كان هذا الاعتبار للمتألم نفسه أو لغيره أو له ولغيره جميعًا، أما الآلام التي لغير المكلف فتَحسن بالعوض له وبأن يكون فيها اعتبار للمكلف."

إذا تحققت نسبية الشر كما ذهب إليه عبد الجبار المتعتزلي فإنها تدعم فكرة وجود الله من خلال إثبات العلاقة بين الخير والشر ضمن القانون الإلهي. لأن الشر إذا كان نسبيا فإن هذا يشير إلى الكون يسير وفق قوانين تتجاوز مخيلة الإنسان المحدودة. وهذا يقتضي وجود عقل مطلق قادر على المعرفة الكاملة لما يجري في الكون.

هذا وأن العلماء قد اتفقوا على أن نظام الكون يسير وفق منهج دقيق يتجاوز العشوائية وهنا يمكن قول أن بعض الشرور تعزز مفهوم الغائية للوجود وعدم عبثية وعشوائية نظام الكون وتؤدي في بعض الأحيان إلى نتائج إيجابية. وهذا الرأي ينسجم مع نظام التصميم الذكي لنظام الكون مما يقتضي ضرورة موجد له حكيم كما أن نسبية الشر ووجود غايات سامية من وراءه يدل على أن الكون خاضع لتدبير ممنهج الذي يستلزم الاقتراض العقلي بوجود خالق يؤظف الشرور على سياقاتها الصحيحة ضمن نظام كوني متكامل.

المطلب الرابع: الاختيار ووجود الشر

بين القرآن الكريم في آيات كثيرة أن الخير والشر ليسا دائما واضحين للعقل الإنساني المحدود وما يبدو خيرا قد يكون من وراءه غايات كثيرة مثل الابتلاء والاستدراج والامتحان مما يدل على أن الخير والشر ليسا مطلقين بل ذات طبيعة نسبية. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيًّا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّواْ شَيًّا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة: 216).

وقد أكد القرآن في هذه الآية أن معرفة الخير والشر لا تنال بالفهم البشري المحدود حيث من الممكن أن يعتبره الإنسان خيرا له فكان شرا أو يظنه شرا فكان خيرا. لأن الخير كما صرح العقلاء ليس أمر مطلق بل هو شيء نسبي يرتبط بالغايات والمآلات التي تنتهي إليها الأحوال والأحداث المختلفة.

هذا وأن الشر قد يكون ذريعة لتحقيق خيرأكبر كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾.(الفجر: 15–16).

الآية تشير إلى أن الانسان قد يظن أن الرزق الواسع دائما خير وإكرام من الله وأن الفقر هو شر أو إهانة، لكن القرآن الكريم ينظر إلى الموضوع من زاوية أخرى حيث يوضح أن الخير ليس دائما منوط بالرخاء المادي وإنما بالغاية التي يؤدي إليها ذلك الرخاء.

وأن الرخاء المادي الذي ينظر إليه في أغلب الأحيان قد يكون استدراجا واختبارا صعبا من الله سبحانه وتعالى للمذنبين وذريعة لزيادة المعاصي وما يترتب عليها من العقوبة في الدار الآخرة حيث يرخى الله العنان للعاصي حتى يسير بعيدا عن الهداية وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.(آل عمران: 178).

وقد بين ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية أن الله سبحانه وتعالى لا يخلق شرا الا لحكمة قد يصعب إدراكها للإنسان. وقد يعتبر الانسان الشر الجزئي شرا محضا لقلة معرفته لمآلات الأمور .

وصرح العلماء المسلمون أن الشر لا يضاف إلى الله بشكل مباشر وإنما الشر نتيجة لسوء الاختيار الذي يمارسه الإنسان بحرية مطلقة. والإنسان حر في اختياراته لأنه الله سبحانه وتعالى أعطاه هذه الحرية. وهذه الإرادة الحرة تشير إلى وجود وعي مستقل لدى الإنسان الذي لا يمكن تفسيره بعيدا عن العدل الإلهي حيث أن الله سبحانه وتعالى منحه هذه الإرادة الحرة التي من خلالها يقدر الإنسان على التمييز بين الخير والشر. هذا التفسير يتماشى مع العقل حيث أن الله سبحانه وتعالى هو مصدر للخير المطلق وأن يستجيل أن يصدر منه الشر بشكل مباشر بل هو نتيجة لسوء استخدام الإنسان للإرادة الحرة التي منحها الله له. وهذا يدل على العدل الإلهي التام حيث أعطا للإنسان الحرية لاختيار أفعاله سواء كانت خيرا أو شرا مع وضع معايير للخير والشر مما يؤيد الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى كضرورة عقلية لضبط النظام العادل الذي بنى على المسؤولية الأخلاقية.

المبحث الثاني: التوجيه المسيحي لمسألة الشر غير المبرر

المطلب الاول: نظرية الإرادة الحرة

عندما نرى الأدب الديني المسيحي يتبلور لنا بوضوح أن التوجيهات المسيحية في توجيه مشكلة الشر تتشابه إلى حد كبير بتلك التي قدمناها آنفا في ضوء الفكر الإسلامي. وقد طور القديس أوغسطين نظرية الاختيار الحر حيث ذكر أن الله سبحانه وتعالى قد خير الإنسان بين اختيار الخير والشر وأن الشر ما هو الا نتيجة لسوء الاختيار الإنساني لإرادته الحرة. وعلى هذا الأساس لا يمكن القول أن وجود الشر يتعارض مع وجود الله.

وفيما يلى ننقل النص الحرفي لما قاله أوغسطين في كتابه المعروف "On the Free Choice of the Will". حيث يقول:

"It is not the will itself that is evil, but the wrong use of the will. God has given us free will so that we may choose the good, but when we turn away from the highest good—God—we fall into evil by our own choice."

ومفهومه أن الاختيار الحر بحد ذاته ليس شرا لكن الاستخدام السيء له يؤدي إلى أشياء سيئة. والله سبحانه وتعالى عندما أعطى الإرادة الحرة للإنسان كان واجبا عليه أن يميل إلى الخير لكنه ابتعد عن الخير واختار الشر لنفسه.

ويتبين من خلال هذا النص أن مفهوم الإرادة الحرة من هذه الزاوية يوفر إطارا فلسفيا عميقا يؤيد الاستدلال على وجود الله من خلال تفسير طبيعة الشر لأن الشر من هذه الناحية لا يمكن تفسيره ككيان مستقل بل هو نتاج سوء استخدام الإرادة وهذا يدل على أن وجود الشر في الكون لا ينفي وجود إله كلي الخير بل يبين مفهوم المسؤولية الاخلاقية للإنسان حيث أن إرادته الحرة هي التي تحدد نتائج أفعاله.

وإذا افترضنا أن هناك إرادة حرة يتمتع بها الإنسان عند اختيار أفعاله فإنه يلزم وجود إله حكيم أودع في الإنسان هذه النزعة التي يميز من خلالها بين الخير والشر. ومن هذه الناحية لا يمكن تفسير الشر كشيء متعارض مع العدل الإلهي، لإن وجود الشر يدل على وجود نظام أخلاقي عادل يتطلب وجود خالق يضع النواميس التي تحكم تصرفات الإنسان. وخلاصة القول أن رؤية أوغسطين حول حرية الاختيار تؤيد الاستنتاج العقلي بأن وجود الشر لا ينفي وجود الله بل يؤيد وجوده كإله حكيم وعادل منح الإنسان الحرية ويحاسبه على أفعاله.

المطلب الثاني: الشر وعقيدة الفداء

ينظر اللاهوت المسيحي إلى الشر على أنه جزء من خطة إلهية أكبر وربطوها بقصة صلب المسيح كما فسروا الألم على أنه وسيلة للفداء والخلاص. وبقطع النظر عن صحة ما ذهب إليه اللاهوت المسيحي فإن الذي لا يمكن إنكاره هنا هو أن هذه الرؤية المسيحية قد أعادت تعريف الشر من كونه شرا مطلقا إلى كونه جزءا من خطة إلهية أسمى.

وقد ذهب جون كالفن إلى اعتبار الشر كجزء من خطة الله في تدبير الكون. وفيما يلى نص كلامه:

"God not only foresaw the fall of the first man, and in him the ruin of his posterity; but also at his own pleasure arranged it. For as it belongs to his wisdom to foresee what is to happen, so it belongs to his power to rule and govern it by his hand".

ومعناه أنه "كان الله يعلم مسبقا بنزول الإنسان الأول على الأرض وما سيترتب على ذلك من ابتلاءات ومشاكل وقد أرادت مشيئة الله ذلك. فعلم الله الأزلي يقتضي أن يعلم ما سيحدث مع الإنسان وكذلك سلطانه يتطلب أن يديره بحكمته".

وقد صاغ كالفن هذا التوجيه لتفسير مسألة الشر ضمن عقيدة الفداء والخلاص المسيحية حيث يرى أن الله ليس فقط على علم سابق بوجود الشر في الكون بل يستخدمه لتحقيق أهداف كثيرة ضمن خطته الكونية. والفداء والخلاص يدخلان ضمن هذه الخطة الشاملة (كما يراه كالفن) حيث أن صلب المسيح الذي ينظر إليه في الأدب المسيحي كذريعة لتحقيق الخلاص البشري. وعلى هذا فإن توجيه الشر والمعاناة في سياق عقيدة الفداء في الديانة المسيحية لا يؤدي إلى نفي وجود الله بل يؤكد على وجوده وعدله وحكمته في خلق وتوظيف الشر في إطار نظام أخلاقي كوني متكامل يهدف إلى تحقيق الخير الأسمى للإنسان.

المطلب الثالث: الشر والحكمة الإلهية غير المُدركة

ذهب بعض الفلاسفة الغربيين إلى أن الإنسان محدود المعرفة ولا يستطيع فهم الحكمة الكاملة لله، كما يظهر في سفر أيوب، حيث يتعرض أيوب لمعاناة شديدة دون تفسير واضح، لكنه في النهاية يُدرك أن حكمة الله تفوق فهم البشر. ويؤكد هذا ما قاله غوتفريد فيلهلم لايبنيتز (Gottfried Wilhelm Leibniz)) في كتابه Theodicy، حيث يناقش مسألة الشر وحدود فهم الإنسان لحكمة الله:

قام بعض الفلاسفة الغربيين توجيه الشر ضمن الحكمة الإلهية لا يمكن للعقل الإنساني المحدود معرفتها والاطلاع عليها. وقد استدلوا على ذلك بمرض سيدنا أيوب عليه السلام حيث تعرض عليه السلام لمعاناة شديدة دون سبب واضح. وأشار لايبنز في كتابه المعروف"Theodicy" إلى هذا التوجيه حيث قال:

" I do not believe that God could have made things better. Those who do not agree with me must either believe that God could have done better, or that He did not will to do better. If they say He could not, they are denying His omnipotence; if they say He did not will it, they are denying His goodness".

يقول لايبنز أنه " يعتقد أن الله سبحانه وتعالى أنه ليس في الإمكان في خلق الأكوان أبدع مما كان وأن الله سبحانه وتعالى قد جعل الأمور أفضل مما هي عليه في شكلها الحالي. ثم يضيف: "الذين لا يتفقون معي في هذا الرأي يجب أن يعتقدوا إما بإن الله كان يمكنه أن يفعل ما هو أفضل أو أنه لم يرد أن يفعل ذلك. فإذا اعتقدوا الأول فإنهم بذلك أنكروا القدرة الإلهية المطلقة وإذا قالوا: أن الله كان يمكنه فعل ذلك ولكنه لم ما أراده فإنهم أنكروا إلها كلي الخير والكرم.

استدل لاينبينز من خلال هذه العبارة على فرضية أفضل العوالم الممكنة التي تدل على وجود الله سبحانه وتعالى مع وجود الشر في الكون، لأن الشر قد يكون جزءا من نظام كوني متكامل وذا أهداف حكيمة وسامية لا يمكن أن يدركها الإنسان بسبب محدودية علمه ومعرفته.

ومما لا شك فيه أن العقل البشري المحدود لا يمكن أن يدرك الحكمة الإلهية اللامحدودة. وقد انطلق الفلاسفة المسيحيون من هذه الرؤية لصياغة أدلة على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى لأن عدم فهم الإنسان للحكمة الإلهية لا يستلزم عدم وجودها. ومن منظور آخر فإن الاعتراف بوجود نظام كوني أشمل يتجاوز الإدراك الإنساني يقتضي وجود عقل كلي قادر. وهذا يستقيم مع رؤية إله كلي الخير والإرادة يدير هذا النظام الكوني المحكم بإرادته وحكمته. وفي المقابل فإن عدم قدرة العقل البشري لفهم الغايات الأسمى لبعض أنواع الشر لا يستلزم غياب الحكمة الإلهية وراءها وإنما هي دليل على عجز الإدراك الإنساني المحدود للحكمة الإلهية المطلقة.

ولا شك أن هذه الفكرة تتماشى مع دليل التصميم الذكي الذي صاغه بعض العقلاء لإثبات وجود الله سبحانه وتعالى حيث أن وجود نظام كوني دقيق ومصمم يشير إلى وجود مبدع حكيم الذي أبدع في خلق هذا النظام وأخفى بعض التفاصيل والحكم من

وراء وجود أشياء كثيرة. وإذا ثبت محدودية معسرفة الإنسان وكمال الحكمة الإلهية تبين أن هناك إله كلي القدرة وكلي الإرادة وكلي الخير وهو الله سبحانه وتعالى وأن الكون محكوم بإرادته العليا بخيره وشره.

الخاتمة :

نتائج البحث

وصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى بعض الاستنتاجات المهمة فيما يتعلق بفهم الشر غير المبرر وعلافته بإثبات وجود الله سبحانه وتعالى في ضوء الفكر الإسلامي والمسيحي ومن أبرز هذه النتائج:

تبين من خلال هذه الدراسة أن الذي استدل بالشر غير المبرر في نفي وجود الله غير قادر لتقديم تفسير شامل للمسألة حيث يركز على الشر بوصفه إشكالية لكنه لا يستطيع تفسير الخير غير المبرر الذي يوجد في الكون بدون أي ضرورة مادية محضة.

الشر هو جزء من نظام كوني متكامل يشمل الابتلاء ولا يمكن للعقل الإنساني المحدود أن يدرك الحكمة الإلهية المطلقة وراء كل حادث.

الشر ليس جوهر مستقل بل هو انعدام الخير ونتيجة لسوء استخدام الإرادة الحرة من قبل الإنسان.

إن ما يبدو شرا في الظاهر قد يكون خيرا في منظور أشمل وأن الشرور أحيانا تلعب دورا في تحقيق التوازن تماشيا مع برهان التكامل الكوني كما فسره العقلاء.

إن وجود نظام كوني مبني على مبدأ العدل يقتضي وجود خالق عادل حيث لا يمكن تفسير القيم الأخلاقية الا بوجود مصدر أعلى يضع تلك المعايير الأخلاقية.

فسر اللاهوت المسيحي الشر ضمن عقيدة الفداء والخلاص مما يتطلب إعتبار تعريف الشر من كونه شرا مطلقا إلى كونه أداة في تحقيق الهدف النهائي للخلق.

ليس في الإمكان أبدع مما كان وأن الله سبحانه وتعالى خلق العالم بأفضل شكل حتى وإن اشتمل على بعض أنواع المعاناة لأن وجود المعاناة قد يخدم بعض الغايات لا يدركها الإنسان.

إن وجود الخير والشر غير المبررين لا يعني نفي الإيمان بوجود الله بل يقتضي وجود إله كلي الخير والإرادة والقدرة. وهذه الرؤية تتسق مع الرؤية الدينية المتكاملة للكون.

التوصيات:

في ضوء هذه النتائج أقدم فيما يلي بعض التوصيات المهمة التي يجب مراعاتها من قبل الباحثين والأكاديميين عند توجيه إشكالية الشر وهي على التفصيل الآتي:

يجب دراسة الشر غير المبرر مع المقارنة بالخير غير المبرر لأن الفصل بينهما يعقد فهم الظواهر الكونية والسنن الإلهية.

يجب إعادة تأطير مفهوم الشر على أساس أنه ليس جوهرا مستقلا بل هو انعدام الخير نتيجة سوء استخدام الإرادة الحرة من قبل الإنسان.

يجب التركيز على دورالإبتلاء في تحقيق التكامل الكوني مع ذكر دوره في نمو القيم الأخلاقية في المجتمعات الإنسانية.

يجب الاهتمام بأبحاث المقارنة حول توجيه الشر، لا سيما من منظور فلسفة "الحكمة الإلهية" في الإسلام وعقيدة الفداء والخلاص في المسيحية. وهذا يساعد في تطور الفكر الديني حول مشكلة الشر.

يجب دراسة إشكالية الشر من خلال النقل والتفكير العقلاني معا ولا ينبغي تناولها من زاوية واحدة. لأن العقل يقتضي أن وجود الشر غير المبرر لا يستلزم نفي وجود الله.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. **ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي. (2002). الشفاء: الإلهيات (ج. 2، تحقيق حسن زيدان). الهيئة المصرية العامة للكتاب.**
2. **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. (1966). تهافت الفلاسفة (تحقيق سليمان دنيا). دار الفلاح.**
3. **الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ. (1995). آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها (تحقيق علي بو ملحم). دار ومكتبة الهلال.**
4. **ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي. (2002). النجاة (تحقيق محمد تقي دانش‌پژوه). جامعة طهران.**
5. **ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد. (1998). تهافت التهافت (تحقيق سليمان دنيا). دار الفلاح**
6. **سوينبرن، ريتشارد. (1998). العناية الإلهية ومشكلة الشر (ترجمة ذاتية). مطبعة جامعة أكسفورد.**
7. **وايتهد، ألفريد نورث. (1929). العملية والواقع: مقالة في علم الكونيات. دار ماكميلان.**
8. **الأكويني، توما. (1947). الخلاصة اللاهوتية (ترجمة آباء المقاطعة الدومينيكانية الإنجليزية). دار بنزيغر. (العمل الأصلي نُشر بين 1265–1274).**
9. **هيوم، ديفيد. (1779). محاورات في الدين الطبيعي. مطبعة ويليامز.**
10. **ماكي، جون ليسلي. (1955). الشر وقدرة الله. مجلة مايند، 64(254)، 200–212.**
11. **رو، ويليام ل. (1979). مشكلة الشر وبعض أنواع الإلحاد. المجلة الفلسفية الأمريكية الفصلية، 16(4)، 335–341.**
12. **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. (1981). إحياء علوم الدين (ج. 3). دار المعرفة.**
13. **الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (1981). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (ج. 22). دار الفلاح.**
14. **ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. (د. ت). شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. دار المعرفة.**

15. عبد الجبار، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني. (415 هـ). المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج. 11). الدار المصرية للتأليف والترجمة.

16. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني. (1986). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، المجلد 4). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

17. أوغسطين، القديس أوغسطينوس. (1993). نظرية الإرادة الحرة (ترجمة ت. ويليامز). دار هاكيت للنشر.

18. كالفن، جون. (1559). أسس الدين المسيحي (ترجمة أ. عوض، و و. هرموش، و ف. مكاري، تنقيح س. سليمان). دار منهل الحياة.

19. لايبنيتز، غوتفريد فيلهلم. (1985). الثيوديسيا: مقالات حول صلاح الله وحرية الإنسان وأصل الشر (ترجمة إ. م. هوغارد). دار أوبن كورت. (العمل الأصلي نُشر عام 1710).